

المحور الأول: مدخل إلى علم الاجتماع

01- تعريف علم الاجتماع

علم الاجتماع هو واحد من العلوم الاجتماعية (الاقتصاد، السياسة، علم النفس، علم الإنسان...) الذي انفصل عن العلم الأم "الفلسفة"، محاولاً أن يجد له موضوعاً ومنهجاً للدراسة أساسه فهم سلوك الفرد في إطار المجتمع وتحليل الظواهر الاجتماعية، إلا أن الملاحظ على العلماء والمفكرين على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم الفكرية لم يقدموا لنا تعريفاً موحداً لعلم الاجتماع، لذا سنحاول في هذا المقام تقديم مجموعة من التعريفات أهمها:

أول من استخدم مصطلح السوسيولوجيا (SOCIOLOGY) كان أوجيست كونت سنة 1839 في الفقرة 47 من مؤلفه محاضرات "الفلسفة الوضعية"، وسماه في البداية "الفيزياء الاجتماعية" وذلك ليقدم علماً جديداً موضوعه دراسة الوقائع المجتمعية باعتبارها تشكل واقعاً متميزاً له قوانينه الخاصة كما هي الحال بالنسبة للوقائع الفيزيائية أو البيولوجية. (Dortier et Cabin, 2000, 17)

وقد أطلق عليه في بداية الأمر تسمية (الفيزياء الاجتماعية) محاولاً بذلك أن يجد له مكاناً ومكانة بين العلوم الطبيعية وعلوم المادة.

أما "ماكس فيبر" فعرفه بأنه "علم يهدف إلى فهم الفعل الاجتماعي بطريقة شارحة ويفسر بذلك أسبابه في تتابعه وتأثيراته"، و(الفعل) هنا سلوك إنساني سواء كان فعلاً خارجياً أو داخلياً، تخلياً أو قبولاً... يجب أن يكون الفعل الاجتماعي ذلك الفعل الذي يتبع في معناه المقصود من قبل فاعله أو فاعليه سلوك أفراد آخرين ويتوجه في تتابعه حسب ذلك. (فيبر، 2011، 28-29)

ونجد "إميل دوركايم" يعرفه بأنه علم يدرس "الظواهر الاجتماعية"، حيث انفرد بتحديد خصائص الظاهرة الاجتماعية كأساس للبحث الاجتماعي مستنداً في منهجه على الناحية الوظيفية التي تحفظ النظام الاجتماعي واستقراره. (الطفيلى، 2007، 12)

وهناك مجموعة من العلماء والمفكرين المعاصرين قدموا محاولات لتعريف علم الاجتماع نوجزها في الآتي:

يذهب "جيمس فاندروزاندن" أن ما يميز علم الاجتماع هو كونه علم يدرس "التفاعل الإنساني" الذي يتجلى في التأثير المتبادل الذي يمارسه الأفراد في علاقاتهم المتبادلة، التأثير في المشاعر والاتجاهات والأفعال، كما يهتم علماء الاجتماع بالطرق المتواترة التي يكون الناس علاقاتهم من خلالها، والتي تنمو

وتتطور من خلالها أيضا أشكال الروابط الاجتماعية المختلفة، كما يعنون أيضا بأساليب المحافظة على استمرار هذه العلاقات والروابط أو تغييرها وحلها.

أما "ماكجي وزملاؤه" فيتبنون تعريفا لعلم الاجتماع مؤداه أنه العلم "الذي يدرس النظام الاجتماعي" ، حيث يشير تصور النظام الاجتماعي إلى ذلك النمط المنظم الذي يجري وفقا له الشؤون الإنسانية بدءًا من علاقات التعاون البسيطة كأن يعاونك شخص غريب ويقدم لك المساعدة، حتى الجماعات المنظمة التي تتحدث لغة مشتركة وتتشارك نفس الموقف السياسي لأجيال وربما قرون، والنظام الاجتماعي يمتد في معناه أكثر ليشمل القواعد السلوكية والقوانين التي يتعلمها ويكتسبها الناس من خلال المشاركة الاجتماعية.

وتقدم "لوسيل دبرمان وكلايتون هارتيجن" تعريفا آخر لعلم الاجتماع مؤداه أنه "علم يدرس السلوك الإنساني" ، وعلى خلاف العلوم الاجتماعية الأخرى فهو يعنى بكافة جوانب السلوك الإنساني في وضع اجتماعي معين، فعلماء الاجتماع يدرسون الطرق التي تتكون المجتمعات من خلالها والأساليب التي يتصرف الأفراد في إطار البنيات الاجتماعية المختلفة، إنهم يحاولون أن يفهموا كيف تتحدد الجماعات الإنسانية معا وتتكامل، وكيف تنفصل وتتباعدا، ولماذا وتحت أي ظروف يكون التكامل أو الانفصال، كما يهتمون ببعض التغيرات التي تطرأ على المجتمعات الإنسانية ودرجة تقبل أو استيعاب أو رفض ومقاومة هذه التغيرات". (عودة، 18)

02- ظروف نشأة علم الاجتماع

لقد سبق المفكر العربي "عبد الرحمان ابن خلدون" العالم "أوجيست كونت" إلى التأسيس وتطوير علم الاجتماع في العالم العربي بأربعة قرون، حينما كان يصدر أعدادا من كتب في التاريخ، وأدرك أنه لا بد من منهج يبين الصدق من الكذب من الأخبار التاريخية، ومن ثمة عكف على مناقشة طبائع العمران البشري وقوانين التجمع الإنساني في مقدمته الشهيرة، حيث عالج فيها أغلب القضايا والمشكلات الاجتماعية التي تعالج اليوم في علم الاجتماع وسماه "علم العمران البشري"، إلا أن أعمال ابن خلدون لم يكتب لها الاتصال أو الاستمرارية ذلك أنه قد واكب سقوط الحضارة العربية الإسلامية وصعود الحضارة الغربية، يضاف إلى ذلك الحواجز اللغوية والثقافية التي أخرت تعرف المفكرين الغربيين على أعمال ابن خلدون وأعماله، ولذلك فإن نشأة علم الاجتماع في الغرب كانت مستقلة عن نشأته في الشرق، لذا ينسب علم الاجتماع في نشأته إلى "أوجيست كونت"، كما كان مرتبطا أشد الارتباط بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي التي كان يمر بها المجتمع الأوروبي بكافة اتجاهاته وفروعه. (عودة، 71)

برز علم الاجتماع إلى الوجود بوصفه فرعاً من فروع العلم والمعرفة بداية القرن التاسع عشر، الذي تميز بتحولات عميقة خاصة في أوروبا، خاصة التحولات السياسية المتمثلة في "الثورة الفرنسية" سنة (1789)، التي أفضت إلى انهيار النظام القديم الذي سيطرت فيه الكنيسة على العقول والسياسة وكل شؤون المجتمع، فقد عملت الثورة الفرنسية بمناداتها إلى المساواة القانونية بين المواطنين على مراجعة أسس النظام السياسي، فهذا الأمر لم يعد من إرادة الأمير وحده.

أما التحولات الاقتصادية والاجتماعية فكانت مرتبطة بالثورة الصناعية التي كانت نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، هي أصيلة بريطانيا العظمى، التي انتشرت تدريجياً إلى بلدان الأوروبية الأخرى ثم الولايات المتحدة واليابان.

لقد تميزت هذه الفترة بالانتقال من المجتمع الريفي إلى الحضري، وهو ما أدى إلى انقلاب عميق في البنيات الاجتماعية التي كانت قائمة آنذاك، مثل التضامن القروي ومجموعة العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية، حيث يشير "فرديناند تونيس" إلى التعارض بين نمطين للتنظيم الاجتماعي، الأول يهيمن عليه الروابط التقليدية، العاطفة وروح الجماعة يرتكز أساساً على الأسرة وعلى التضامن المحلي، بينما الثاني يستند أكثر على المصلحة الفردية، الحساب والعلاقات غير الشخصية ويحاول أن يفرض نفسه داخل المجتمع الصناعي. (ريتور، 2015، 18)

لقد بدأ التحول الكبير في تفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية بعد ميلاد القرن التاسع عشر، الذي تم فيه استخدام المناهج العلمية لاستقراء السلوك والظواهر الاجتماعية، فالمنهج العلمي وحده الكفيل بالإجابة على التساؤلات المطروحة مستنداً على حقائق تم جمعها بواسطة البحث المنظم، لقد نتج عن هذا الأسلوب الجديد في البحث علم هام يدعى "علم الاجتماع" وبالانجليزية "Sociology". (العزوي وآخرون، 2006، 16)

03- التطورات الأساسية لنشأة علم الاجتماع

يمكن أن نصنف ظروف نشأة علم الاجتماع إلى ثلاث تطورات أساسية ترتبط ببعضها البعض ارتباطاً وثيقاً ومتبادلاً تفاعلت وتبادلت التأثير والتأثر على طول التاريخ الأوروبي، ممتدة من انهيار المجتمع الإقطاعي القديم وصولاً إلى المجتمع البرجوازي الحديث، وهذه التطورات هي:

أ- التطورات الاجتماعية والاقتصادية:

تتمثل هذه التطورات التي مهدت لنشأة علم الاجتماع في قيام المجتمع الصناعي الرأسمالي على أنقاض المجتمع الإقطاعي القديم، حيث ظهر مع هذا الانتقال تغيرات أفرزت ظواهر ومشكلات اجتماعية يمكن أن نلخص هذه التغيرات في:

- ظهور المدينة الصناعية، التي حلت مكان القرية والتي كانت قلب المجتمع الإقطاعي، فبعد انفجار الثورة الصناعية حدث الانقلاب الصناعي وظهرت المصانع الحديثة وفرص العمل الهائلة وتحولت المدن إلى مراكز جذب للقوى العاملة من الريف.
- فترايدت تبعا لذلك معدلات الهجرة من الريف إلى المدن، مما أدى إلى ظهور الطبقة في المدن نتيجة تواجد فئة تملك المصانع والمؤسسات ورأس المال ، وفئة أخرى تباع قوة عملها للأولى حتى تحسن من ظروف عيشها، وهكذا نشب التوتر والقلق والصراع بين الفئتين أو الطبقتين.
- ظهور مشكلات المدينة الصناعية المتمثلة في الفقر، الازدحام، المناطق المتخلفة... الخ

هنا أصبح على الفكر الاجتماعي ضرورة دراسة مثل هذه المشكلات تشخيصا وتحليلا ومحاولة إيجاد الحلول .

ب- التطورات الفكرية والفلسفية:

صاحب التطورات الاجتماعية والاقتصادية سابقة الذكر تطورات فكرية وفلسفية، حيث أن المجتمع الصناعي البرجوازي الجديد أصبح يستخدم أساليب فكرية وفلسفية يسوغ من خلالها لمكانته واستمراره، بدأت بنشوء المذهب البروستانتي في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر وهذا ما يعرف بعصر التنوير الذي تحررت فيه العقول من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية، وهنا يمكن أن نبرز دور فلسفة التنوير في القضاء على المجتمع القديم والتمهيد للمجتمع الجديد في النقاط التالية:

- عقلانية الإنسان وقدرته على الوعي بمصالحه وتوجيه التاريخ والمجتمع لصالحه.
- انتصار الإنسان على النظم الاجتماعية التي كانت تكبله للوصول إلى العصر الذهبي.
- مشروعية النقد بمعيار العقل وليس هناك من المقدسات التي تحول دون ذلك.
- مشروعية الثورة والتغيير، فطالما تحرر العقل بالنقد والتمحيص فمن حقه الثورة على أوضاعه الاجتماعية التي يراها غير منطقية أو غير عقلانية.

ت- التطورات السياسية:

انطلقت التطورات السياسية من فرنسا متمثلة في "الثورة الفرنسية" التي كانت أول ثورة إيديولوجية في التاريخ، أساسها مقولات فلسفة التنوير والثورة على النظم الاجتماعية التي تخلفت عن النظام الإقطاعي القديم، ومن الطبيعي أن تظهر الكثير من المشكلات في معمة الهدم والبناء الاجتماعي هذه، بحيث تطلب هذا المعالجة والتفسير ، مما جعل البعض يذهب إلى أن "أوجيست كونت" مؤسس علم الاجتماع الغربي في فرنسا كانت مهمته في هذا العلم الجديد إصلاح الأوضاع الاجتماعية التي أفسدتها الثورة، أو إعادة البناء الاجتماعي على أساس البحث العلمي والتفكير الوضعي البعيد عن الحماس الثوري المندفع.

04- أهداف علم الاجتماع:

إن استخدام علم الاجتماع المنهج العلمي في دراسة المجتمع جاء من أجل دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة موضوعية مثلها مثل الظواهر الطبيعية ، لذا فإن هذا العلم في دراساته المتعددة يهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف عكف المؤسسون ومازال المعاصرون يجتهدون في سبيل بلوغها، وهي: (عبد الجواد، 26-27)

أ- دراسة الحقائق والظواهر، للوقوف على عناصرها ومما تتكون، ولمعرفة المبادئ العامة للحياة الاجتماعية ، والدعائم التي ترتكز عليها.

ب- دراسة أصل الظواهر والحقائق الاجتماعية ، والتطورات التي مرت بها على مر العصور والعوامل التي أدت إلى هذا التطور وساعدت عليه، لأن الظواهر الاجتماعية متطورة ومتغيرة بتغير الزمان والمكان.

ت- دراسة وظائف الظواهر الاجتماعية وتطور هذه الوظائف مع الزمان، واختلافاتها من مكان إلى آخر، إذ أن لكل ظاهرة وظيفتها الخاصة، فظاهرة الزواج مثلا تنظم العلاقة بين الرجال والنساء ، التكاثر ،... الخ، ووظيفة السياسة تنظيم العلاقة بين الفرد والدولة وبين الدول فيما بينها وهكذا.

ث- البحث في العلاقات الاجتماعية والروابط المختلفة، والتعرف على مدى التفاعل الذي يحدث بين الأفراد بعضهم، وبين الجماعات وبعضها، وعلاقات بين الظواهر وبعضها... الخ.

ج- دراسة العلاقات والتأثيرات المتبادلة ما بين الأفراد والتجمعات الإنسانية وظروف البيئة الطبيعية والجغرافية.

ح- يهدف علم الاجتماع أخيراً إلى الكشف عن القوانين والنظريات الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية سواء في أصلها أو نشأتها أو تغيرها وتطورها أو تأثيراتها المتبادلة ، وهذا ما يضيف على علم الاجتماع الموضوعية والعلمية.

01- موضوعات علم الاجتماع

من الصعوبة بمكان أن نحدد موضوعاً بعينه لعلم الاجتماع، ذلك أن المجتمع تتشابك مكوناته وعلاقاته وتفاعلاته وتطورات نظمه وغيرها من الجوانب التي تشكل المجتمع في بنيته وتطوره وتغيره، وهذا ما تؤكد لنا من خلال عدم اتفاق علماء الاجتماع المؤسسين والمعاصرين على تحديد موضوع أو اثنين لهذا العلم، وعليه سنحاول الإلمام بأهم الموضوعات التي شكلت مجالاً للبحث والدراسات في علم الاجتماع كالتالي:

1-1 المجتمع كموضوع لعلم الاجتماع:

يتخذ علم الاجتماع المجتمع وحدةً للتحليل له ككيان كلي، فيصبح دوره هنا الكشف عن الصلات التي تربط النظم الاجتماعية التي تكون المجتمع في ظل الأنساق الاجتماعية المختلفة، ويمكن أن تتضمن مثل هذه الدراسات للمجتمع قسمين رئيسيين على الأقل، يختص الأول بالتباين الداخلي بين المجتمعات المختلفة، والثاني يتناول كافة المجتمعات كمجموعات إنسانية تتميز ببعض السمات الخارجية المحددة، وفي هذه الحالة نجد علم الاجتماع يطرح تساؤلات مثل هل هناك شواهد على أنماط معينة من المجتمعات كالإمبراطوريات الكبرى مثلاً يمكن أن تستمر فترة من الزمن؟ هل تمر المجتمعات بمراحل تطور معينة؟ وقد ساد هذا النمط من التفكير والتحليل الاجتماعي من منظور تطوري لفترة معينة من تاريخ الفكر الاجتماعي، فابن خلدون أشار إلى تطور المجتمعات من (مجتمعات بدوية) إلى مجتمعات (حضرية)، أما أوجيست كونت فدرس تطور المجتمعات من (مجتمعات بدائية إلى مجتمعات لاهوتية إلى مجتمعات وضعية)، في حين ناقش إيميل دوركايم تطور المجتمعات من (مجتمعات تقليدية إلى مجتمعات معاصرة)

أما اليوم فنجد تركيز الدراسات الاجتماعية يتجه نحو البناء الداخلي للمجتمع، وهذا من خلال طرح تساؤلات جديدة مثل ما هي المشكلات الداخلية التي يتحتم على كل مجتمع أن يواجهها؟ ما هي أكثر مكونات المجتمع شيوعاً؟ كيف تحدد المجتمعات مسؤولية أداء الوظائف؟ ما هي النتائج التي تترتب على ارتباط بعض النظم الاجتماعية ببعضها؟ ومثال ذلك إلى أي مدى يتفق النمط الصناعي من الحياة الاقتصادية مع نمط الأسرة الممتدة؟ (أنجلز، 54)

2-1 النظم الاجتماعية كموضوع لعلم الاجتماع:

تعتبر النظم الاجتماعية من أهم موضوعات علم الاجتماع، فهي حسب "عبد الرازق جلي" إحدى أنماط التنظيم الاجتماعي للمجتمع، فهي بمثابة الأنساق الكبرى المنظمة للتفاعل الإنساني الذي هو قاعدة العلاقات الاجتماعية، وأنواع التفاعل الموجه لغرض معين من الأغراض التي توجه حاجات الإنسان الأساسية ويتفرع عنها بأسماء محددة تكشف عن طبيعة النشاط الاجتماعي وحدوده. (جلي، 2000، 79)

يجدر بنا هنا أن نقدم تعريفا للنظم الاجتماعية، فهي في الواقع جملة الأحكام والقوانين الاجتماعية والأعراف قد تكون مدونة أو متعارف عليها تعمل بشكل واضح على تحديد سلوكيات وأخلاقيات الأفراد، وترسم أنماط علاقاتهم وتفاعلاتهم الاجتماعية، كما أنها تساهم بوضع ايدولوجية المجتمع وترسيخ أسس نظامه على المستوى الكلي أو الفرعي وتحدد أنماط العلاقات بين أفراد المجتمع ذاته. (الغزوي وآخرون، 2006، 209)

يرى البعض أن النظم الاجتماعية كالأسرة، المدرسة، الحزب السياسي تشكل موضوعا أكثر تميز لعلم الاجتماع، على أساس أن المجتمع ككل يتشكل من مجموع هذه النظم الاجتماعية، إذ نجد "هربرت سبنسر" ينظر للنظم الاجتماعية على أنها الأصول التي تؤدي وظائف المجتمع، وقد نمت عن التقاليد والعادات الشعبية، وكل نظام يحتوي على معايير وعادات وتوقعات تنتقل إلى الأجيال التالية في شكل خبرات تتراكم وتؤدي إلى وجود نماذج مقننة من النظم الاجتماعية التي تقوم بوظائف مختلفة في المجتمع كنسق اجتماعي. (عبد الهادي، 2009، 129)

وقد حدد "أليكس أنجلز" النظم الاجتماعية الأساسية في: نظام الأسرة والقرابة، النظام الاقتصادي، النظام السياسي والقانوني، النظام الديني، النظام التربوي والعلمي، النظام الترويحي والرفاهية والنظام الجماعي والتعبيري. (أنجلز، 50)

ونوجز هنا مضامين بعض النظم الاجتماعية الأساسية:

أ- النظام الأسري:

النظام الأسري لدى الكثير من الباحثين من أهم النظم الاجتماعية، ذلك أن الإنسان يبدأ حياته الاجتماعية بالأسرة، لأنها تشكل أهم خلية تستطيع أن تلبى للإنسان أهم احتياجاته البيولوجية والإنسانية، ولهذا هي بحق النواة الأولى للمجتمع الإنساني؛

تعرف الأسرة على أنها مجموعة من الأفراد تربطهم علاقات الدم والزواج وتجمعهم في مسكن واحد، مع تحديد مكانات وأدوار كل فرد فيها وتوضيح لأهم وظائفها وهي المحافظة على النوع الإنساني.(عفيفي، 2011، 60)

ونجد الأسرة قد أخذت عبر تاريخ التطور ا إنساني شكلين أساسين، الأول نموذج الأسرة الممتدة والثاني نموذج الأسرة النوواة، بالنسبة للأول فيتشكل من الزوج وزوجته وأبنائهما والجد والجدة وبعض أفراد العائلة كالعم والعمة وحتى الزوجات في بعض الأحيان يعيشون ويتفاعلون معا في مكان واحد، أما الشكل الثاني فيتكون من زوج وزوجة وأبنائهما فقط يعيشون في منزل واحد. للأسرة وظائف أساسية هي: الوظيفة الجنسية، وظيفة الإنجاب، وظيفة التنشئة الاجتماعية والوظيفة الاقتصادية .

ب- النظام السياسي:

إن الصراع حقيقة أساسية وجدت ومازالت منذ بدأ الخليقة متجذرة في الطبيعة البشرية، وعليه فإن التضاد والتنازع قائم تبعاً لذلك، وعليه فإن المجتمع الإنساني بحاجة إلى قوة أو سلطة تفرض على الأفراد الانصياع لها، ومثل هذا الرأي نجده عند العلامة "ابن خلدون" حيث يقول: "إن الأدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزرع بعضهم عن بعض".

ومفهوم النظام السياسي يقصد به توزيع القوة والسلطة والنفوذ داخل المجتمع والطرق التي يتم تنظيم التوزيع والسيطرة عليه بواسطتها، ويعتبر ظهور السلطة السياسية المتمثلة في الدولة ظاهرة اجتماعية حديثة النشوء نسبياً إذ ظهرت بظهور المدينة والمدنية ونتيجة زيادة حجم المجتمع وتعدد بنائه وعلاقاته.

ولعل وظيفة الدولة الأساسية كتنظيم اجتماعي هي توفير الأمن والحماية من الأخطار الخارجية والداخلية، وتتمتع بامتلاك القوة المسلحة والعديد من الأجهزة التي تساعد على ذلك، وممارسة الردع بغرض تحقيق أهداف وأمن واستقرار المجتمع ، وتمارس ذلك من خلال سن التشريعات والدساتير.

ت- النظام الاقتصادي:

يشير مفهوم النظام الاقتصادي إلى الإجراءات والتدابير المنظمة التي تتم بموجبها عمليات إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها من قبل أفراد المجتمع وضمن إطار اجتماعي محدد.

كما يعرف على أنه مجموعة القواعد ونمط الضوابط التي يتبعها المجتمع في استخدام موارده لتحقيق غاياته وفي تحديد الأولويات واتخاذ القرارات الخاصة بالسلع الاقتصادية.

وتعتبر الأفكار الاقتصادية "ابن خلدون" في مقدمته إسهاما حقيقيا في فهم الأمور والحوادث الاقتصادية من منظور اجتماعي- التي يتناولها علم الاجتماع الاقتصادي- ، كما يقوم النظام الاقتصادي في نظره على مجموعة من العناصر البنائية هي: (جلي، 2000، 82)

- **العمل الإنساني :** ذلك أن قيم الأشياء تنبع من حيث الأساس في العمل الذي يبذل لإنتاجها والكسب هو قيمة الأعمال البشرية .
- **قيم العمل والثروة:** القصد من العمل هو تحصيل أو الحصول على الذهب والفضة...وهنا نجد ابن خلدون قد أدرك العلاقة بين قيمة العمل وثروة الأمم، فهذه الثروة من معدن نفيس كالذهب والفضة يكون العمل موجهها أساسا نحو اقتناءها.
- **قيم العمل والعرض والطلب:**العمل يتبع قانون العرض والطلب خاصة في المدن التي ترتفع فيها قيمة العمل لكثرة الحاجة للترف، واعتزاز أهل الترف بخدمتهم وكثرة المترفين وحاجاتهم مما يجعل الصناع والعمال وأهل الحرف تغلوا أعمالهم.

ث- النظام الديني:

النظام الديني من النظم الأساسية في الحياة الاجتماعية سواء كان المجتمع بدائيا أم متحضرا، ويعتبر الدين أهم هذه النظم حيث يركز على علاقة الخالق بالمخلوق ، والاختلاف الذي وقع بين الدين وغيره من جوانب الحياة الاجتماعية يتعلق بالمعتقدات والتطبيقات نحو معبودات لا يخضع وجودها للملاحظة.

التفكير الديني عند الإنسان - بغض النظر عن نوع هذا التفكير- يسعى للبحث عن اليقين في الطبيعة وينشد فهم أسباب وجود الإنسان ومعرفة الحياة الغامضة بالنسبة له وما يحيط به ، فقد تأثر الإنسان بظروف الحياة الاجتماعية والطبيعية وخضع لعدد من الرموز وأضفى عليها صفة القداسة وأخذ يتبرك لها كي يرضيها وتحميه من أخطار الطبيعة وشروخ بني جنسه ولأنها مصدر رزقه؛

ويعرف النظام الدين على أنه " يمثل مجموعة من الظواهر العقائدية والعبادات التي تعطي معنى للحياة البشرية وتعمل على تنظيم السلوك الإنساني حيال العالم الفوقي فالعقيدة يشترك فيها جماعة من الأفراد الذين يكونون وحدة متماسكة.

وقد خضع النظام الديني منذ بدء الخليقة على مراحل تطويرية على النحو التالي:

- المرحلة الوثنية (عبادة الأصنام).
- مرحلة تقديس مظاهر الطبيعة (الميتافيزيكيات).
- مرحلة تأثير الأديان السماوية (غير الإسلامية).
- مرحلة التوحيد (الدين الإسلامي).

وعليه فإن الدين يمارس وظائف متعددة على الصعيد الفردي والاجتماعي أهمها:

- يعطي الفرد الشعور والإحساس بالأمن والطمأنينة والاستقرار.
- يحدد للفرد هويته وانتماءه للجماعة من خلال قبول القيم والمعتقدات وممارسة الشعائر.
- يوفر عامل ضبط النفس وتنظيم العلاقات الاجتماعية التي تشكل البناء الاجتماعي.

ج- النظام التربوي:

يعرف النظام التربوي على أنه مجموعة مترابطة مع بعضها البعض من القواعد والتنظيمات والإجراءات التي تنتهجها دولة ما لتوجيه أمور التعليم وتسيير شؤونها سعياً إلى الارتقاء بالقيم والمبادئ العامة للأمة بما يتماشى مع السياسات التربوية لتعكس الفلسفة بمختلف أشكالها الفكرية، الاجتماعية والسياسية في دولة معينة.

حيث يهدف النظام التربوي إلى صقل شخصية الفرد والجماعة في آن واحد لتحقيق التنشئة الاجتماعية الناجحة، سواء كانت مباشرة أم غير مباشرة، وبالتالي فإنها تحقق للفرد إمكانية التأقلم مع ما يحيط به من بيئة اجتماعية، كما يهدف إلى إكساب الفرد المهارات الأساسية بالاعتماد على مناهجه وآلياته المستخدمة في المجال المدرسي، ويأتي ذلك في إطار السعي لإمداد الطلبة بالإمكانية التامة على أداء المهارات التي تنفعهم في ممارسة الأنشطة في مختلف مجالات الحياة، كما يحرص النظام التربوي دائماً إلى الارتقاء بمستويات التعليم وتحسين جودتها بالاعتماد على سلسلة من الإجراءات المتبعة والمرتبطة بالمناهج الدراسية المعطاة للتلاميذ، ويعمل على تفعيل الدور التربوي بشكلٍ جدّي بواسطة التجديدات التربوية والإصلاحات المستحدثة بين فترة وأخرى، كما تُضفي التكنولوجيا تحسناً ملموساً على نوعية التعليم عند الاستعانة بها.

ويمكن أن نلخص وظائف النظام التربوي في الآتي: (<https://mawdoo3.com>)

- يساهم النظام التربوي في تحقيق النمو والاستمرار في الحفاظ على شخصيته وذاته من خلال قيامه بالربط المستمر بين سمات ثقافته المحلية والوافدة دون إحداث أي انحلال أو تغير أو ذوبان أي منهما في الآخر، فتزداد أبعاد التفاعل والتكيف مع الحفاظ على معالم الشخصية المحلية.
- يلعب النظام التربوي دوراً فعالاً في تنظيم الحياة الاجتماعية، إذ يوفر متطلبات الأفراد في المجتمعات من استقرار وأمن من خلال محاربة المشكلات الاجتماعية قبل استفحالها في ثنائها.
- يُلبّي كافة حاجات المجتمع الاقتصادية، وخاصة الأيدي العاملة المدربة، والتكنولوجيا الحديثة والرقمنة.

3-1 العلاقات الاجتماعية كموضوع لعلم الاجتماع

تعتبر النظم الاجتماعية أنساقاً معقدة من العلاقات الاجتماعية ، فالأسرة مثلاً نظام اجتماعي يتكون من شبكة علاقات متعددة، منها العلاقات بين الزوج وزوجته، العلاقات بين الأبوين وأطفالهما، العلاقات بين الإخوة وحتى تلك العلاقات بين الجدين وأحفادهما، فكل هذه العلاقات نستطيع دراستها وتتبع بعض الجوانب المشتركة فيها، كالخصائص المتعلقة بحجم الجماعة التي تتم فيها، نوع العلاقة كالسيطرة أو الخضوع...الخ.

وهنا يمكن أن نعرف العلاقات الاجتماعية بأنها: الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع، والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع، ومن صور هذه العلاقات الصداقة، الروابط الأسرية، القرابة، الزمالة في العمل...الخ.

ويمكن تصنيف العلاقات الاجتماعية إلى:

- أ- علاقات اجتماعية أولية وأخرى ثانوية.
- ب- علاقات اجتماعية طويلة الأجل وأخرى مؤقتة.
- ت- العلاقات الاجتماعية المباشرة وغير مباشرة.
- ث- العلاقات الاجتماعية الداخلية والخارجية.
- ج- العلاقات الاجتماعية الإيجابية والسلبية.
- ح- العلاقات الأفقية والرأسية.

4-1 العمليات الاجتماعية كموضوع لعلم الاجتماع:

أيما وجدت الجماعات الإنسانية فأفرادها لا يعيشون بمعزل عن بعضهم البعض، فهم يتصلون ببعضهم بوسائل متعددة مما يجعلهم يؤثرون ويتأثرون ببعضهم، ومن ذلك تنشأ بينهم العلاقات التفاعلية التي تجعلهم وحدة متكاملة، والعلاقات الاجتماعية توجد بين الأفراد عندما يأخذ كل واحد من الفاعلين باعتباره أفعال الآخرين في توجيه سلوكهم، وبالتالي يكون هذا التوجيه متبادلا فتسود العلاقات وتستمر.

ومن أهم العمليات الاجتماعية نذكر:

أ- الامتثال:

يعني أن تفعل ما يتعين عليك أن تفعله، كأن يؤدي التلميذ واجباته، أو يقف سائق السيارة عند مفترق الطرق حتى تسمح له إشارة المرور أو الشرطي بمواصلة السير، في هذه الأمثلة وغيرها نجد أن الوضع صريح ومحدد تحديدا دقيقا في القواعد التي تحكمه، فضلا عن القوة التي تكفل تدعيم الامتثال، وهنا نجد علماء الاجتماع ينطلقون من قضية نعرفها ونقبلها جميعا وهي الامتثال للدور الاجتماعي وأداء المهام المرتبطة به ويعتمد كذلك على الجزاءات. (أنجلز، 152)

ب- الانحراف:

ينشأ الانحراف عند الابتعاد عن المعايير المقبولة اجتماعيا عن فعل يحمل المجتمع نحوه مشاعر قوية إلى الحد الذي يجعله يتبنى جزاءات معينة لكي يمنع أو يتحكم في السلوك المنحرف، فزيادة السرعة على الطريق العام مخالفة للقانون تعتبر انحرافا، وقد درس علماء الاجتماع بالوم.أ كثيرا مشكلات الجريمة وجنوح الأحداث، البغاء، الإدمان بوصفها انحرافات اجتماعية مخالفة للمعايير.

ت- التعاون:

التعاون يحتاج فيها الفرد إلى شخص آخر يساعده في إنجاز العمل أو ليكون العمل أكثر اتقاناً، فالتعاون علاقة يعمل فيها إثنان أو أكثر لتحقيق هدف معين، وفي الغالب يكون الطرفان غير متساويان وبينهما فوارق، والتعاون أنواع فهناك التعاون التلقائي أو العفوي، التعاون التقليدي، التعاون الموجه والتعاون الاتفاقي أو التعاقدية .

ث- المنافسة:

هناك تشابه بين التعاون والمنافسة في كون الطرفين يتطلعان لتحقيق هدف مشترك، إلا أن عملية المنافسة تقضي بأن يصل أحد الطرفين إلى الهدف قبل الآخر ليكون هناك فائز في الأخير، والمنافسة ليست نقيض التعاون إلا أنها تشمل بعض درجات التعاون، لأنه على المتنافسين أن يتعاونوا معا في اللعب بمقتضى القوانين التي تحكم اللعبة كما هو الحال في كرة القدم، التنافس بين الطلاب لبلوغ المرتبة الأولى.

ج- الصراع:

في عملية المنافسة يحاول المتنافسون أن يحققوا الهدف نفسه تبعا للقوانين المقبولة، فالمتنافسون يركزون على الفوز دون إيذاء الطرف الآخر، وعندما لا يحترم المتنافسون ذلك ينقلب التنافس إلى صراع، وهنا يصبح الصراع عملية قهر وتدمير الطرف الآخر لبلوغ الغايات، وقد وجد الصراع في جميع الأنظمة الاجتماعية، بين الإدارة والعمال، بين المجرمين والشرطة، بين الزملاء... الخ، ويعد الصراع عملية هدامة داخل البناء الاجتماعي.